الفصل الثانى

الإمـــــام

obeikandl.com

obeikandl.com

جرى العرف أنه إذا اقتصر أحد فى خطابه الدينى على كلمة الإمام، فيكون المقصود على بن أبى طالب.

تحدثنا سابقًا عن الأوامر الإلهية والنبوية التى تطالب المسلمين بحب آل البيت عليهم السلام عامة، والإمام على بن أبى طالب عليه السلام خاصة.

والحب أشكال وألوان.

فمنه الحب عطفًا وإكرامًا كما يحب المرء ولده الصغير وسائر أهله، ومنه الحب إجلالاً واعترافًا لأهل الفضل والعلم بفضلهم، فكيف لإنسان سوىّ خلقه الله ونفخ فيه من روحه أن يحب من يسيئون للناس وينشرون الشر والفساد فى الأرض؟ وكيف لتلك النفس السوية أن تبغض أهل الخير والفضل والإحسان ومصابيح الهدى؟؟!!.

التاريخ الذى سنورد نماذج منه خير شاهد على المعاناة والعداء الذى لقيه أهل البيت من أناس كان يفترض فيهم أنهم يحبون أهل البيت إكرامًا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والذى وصفه ربنا سبحانه وتعالى بقوله ﴿**رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨].

كان على المسلمين أن يحبوا أهل البيت ويقتدوا بآثارهم لكونهم من حملوا الروح المحمدية الرفيعة الطاهرة فى حنايا أجسادهم وأرواحهم، فضلاً عما أقامه أهل البيت عليهم السلام من منارات للهداية وما قدموه للناس من نماذج يستضاء بها فى الظلمات وتستجلى بها الشكوك والشبهات.

نبذة عن حياة الإمام

تعال معى نطلع على صفحات النور التى سطرها على بن أبى طالب عليه السلام بجهاده وعلمه وزهده وخلقه الرفيع، ثم سل نفسك كيف لا تنهل الأمة من هذا العلم؟، ولماذا

لا نسعى إلى تقديم هذا العلم للعالم أجمع حتى ولو بقى البعض مصرّا على رفض الإقرار بإمامته عليه السلام؟ .

لنقرأ معًا خبر ضرار

خذ عندك خبر ضرار الضبائى الوارد فى *نهج البلاغة*، وكان من أصحاب الإمام على بن أبى طالب، فدخل ذات يوم على معاوية بن أبى سفيان، فقال له معاوية صف لى عليّا، فقال:

فأشهد لقد رأيتُه فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم فى محرابه، قابض على لحيته يتململ تململ السّليم [أى اللديغ] ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا، إليك عنّى، أبى تعرّضت؟ أم إلىّ تشوّقت؟ لا حان حينك! هيهات! غرّى غيرى لا حاجة لى فيك. قد طلّقتك ثلاثًا لا رجعة فيها! فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

كما روى الخبر نفسه ابن عبد البر فى كتاب *الاستيعاب*:

قال معاوية لضرار الضبائى: يا ضرار صف لى عليّا .

قال: اعفنى يا أمير المؤمنين .

قال: لتصفنه .

قال: أما إذ لا بد من وصفه، فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته .

كان غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن .

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه .

ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له.

يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييئس الضعيف من عدله .

وأشهد أنه لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه

قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرّى غيرى، ألى تعرّضت أم إلىّ تشوقت؟ هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك قليل.

آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه ياضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها.

وكان معاوية يكتب فيما ينزل به، ليسأل على بن أبى طالب رضي الله عنه عن ذلك فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له: دعنى عنك.

شهادة أخرى من معاوية

قال ابن أبى الحديد [1]:

إن عليّا كتب إلى محمد بن أبى بكر رضوان الله عليه كتابًا عندما كان عاملاً من قبله على مصر، وكان محمد ينظر فيه ويتأدب بأدبه، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله، أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويتعجب منه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية وقد رأى إعجابه به، مُرْ بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاوية مه لا رأى لك، فقال الوليد أفمن الرأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب[2] عندك تتعلم منها؟ قال معاوية ويحك أتأمرنى أن أحرق علمًا مثل هذا؟! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم!! فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟؟!!

(١) شرح نهج البلاغة.

(٢) سمى النبى صلى الله عليه وسلم عليّا: أبا تراب، ولجهل المسلمين فى الشام بذلك، اعتبروا أن ذلك سباب له.

obeikandl.com

فقال لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه!!

ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب على بن أبى طالب، ولكن نقول هذه من كتب أبى بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد، فنحن ننظر فيها ونأخذ منه. قال فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى أمية حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنها من أحاديث على بن أبى طالب عليه السلام وكلامه.

ثم قال ابن أبى الحديد:

الأليق أن يكون الكتاب الذى كان مع معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هو عهد على بن أبى طالب إلى الأشتر، فإنه نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق مثله أن يقتنى فى خزائن الملوك[1].

والرسالة موجودة بنصها فى نهج البلاغة، ومنها نهل ابن خلدون نظرياته عن العمران..

شهادة ابن أبى الحديد[2]

وبعد أن أوردنا شهادة معاوية بن أبى سفيان، نورد شهادة ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة، الذى قال فى مقدمة شرحه:

وما أقول فى رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة فى إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكرًا، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموّا،

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٣ ص ٢٨.
(٢) المرجع نفسه.

وكان كالمسك كلما ستر انتشر عَرْفه، وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار أن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول فى رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهى إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة؟

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ، فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ـ ومنهم تعلم الناس هذا الفن ـ تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبى الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر الأشعرى، وهو تلميذ أبى على الجبائى، وأبو على أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو على بن أبى طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه.

أما أصحاب أبى حنيفة كأبى يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة.

وأما الشافعى فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضًا إلى أبى حنيفة.

وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعى فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق عليه السلام وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام وينتهى الأمر إلى على عليه السلام.

وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأى، وقرأ ربيعة على عكرمة، و قرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علىّ بن أبى طالب.

وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعى بقراءته على مالك كان لك ذلك!!! فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

وأيضًا فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن على عليه السلام. أما ابن عباس، فظاهر وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه فى كثير من المسائل التى أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، و قوله غير مرة لولا علىّ لهلك عمر، وقوله لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله لا يفتين أحد فى المسجد وعلىّ حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضًا انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أقضاكم علىّ».

والقضاء هو الفقه، فهو إذًا أفقههم. وروى الكل أيضًا أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضيًا: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»، قال [علىّ] فما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين.

وهو عليه السلام الذى أفتى فى المرأة التى وضعت لستة أشهر، وهو الذى قال فى المنبرية صار ثمنها تسعًا، وهذه المسألة لو فكر الفرضى [صاحب علم الفرائض] فيها فكرًا طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً.

ومن علوم الدين علم تفسير القرآن، وعنه أخذ ومنه فرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة و الحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك

الشبلى والجنيد وسرى وأبو يزيد البسطامى وأبو محفوظ معروف الكرخى وغيرهم.

ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذى ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفى بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط.

مصدر علوم الإمام

لقد كان الإمام على بن أبى طالب بالدليل والبرهان العملى باب مدينة علم رسول الله ﷺ، ولكن، من أين جاء الإمام على بن أبى طالب عليه السلام بكل هذا العلم؟؟

يقول سلام الله عليه[1]:

وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة: وضعنى فى حجره وأنا وليد يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه، ويمسنى جسده ويشمنى عرفه وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل.

ولقد قرن الله تعالى به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة. فمن غير على بن أبى طالب عليه السلام أتيح له مثل هذا؟؟!!.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٩٢.

لقد كان أصحاب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتبركون به وبآثاره وبعرقه وبشعره!! حتى لقد غلا البعض فيهم وأسبغ عليهم صفات القداسة لمجرد أنهم رأوه وسمعوا منه، فما بالك بابن عمه وربيبه ووزيره الذى ربى فى حجره ونام فى فراشه وتلقى الموت مرارًا وتكرارًا بدلاً عنه وفداه بنفسه فى كل تلك المواضع التى تزلزل فيها الأبطال ونكص فيها الرجال؟؟!!.

وما بالك بمن زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وخطب يوم زواجهما قائلاً:

«الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع لسلطانه المهروب إليه من عذابه، النافذ أمره فى أرضه وسمائه، الذى خلق الخلق بقدرته ونيرهم بأحكامه وأعزّهم بدينه وأكرمهم بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. إنّ الله عزّ وجلّ جعل المصاهرة نسبًا لاحقًا وأمرًا مفترضًا وحكمًا عادلاً وخيرًا جامعًا، أوشج بها الأرحام وألزمها الأنام. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا**(٥٤) ﴾[الفرقان: ٥٤]، وأمر الله يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكلّ أجل كتاب ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** (٣٩) ﴾[الرعد: ٣٩]، ثمّ إنّ الله تعالى أمرنى أن أزوّج فاطمة من علىٍّ، وأشهدكم أنّى زوّجت فاطمة من علىٍّ على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمّة، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم» ـ انظر الطبقات الكبرى لابن سعد.

نصائح الإمام لكميل

قال كميل بن زياد: أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فأخرجنى إلى الجبّان (القبور) فلمّا أصحر تنفّس الصّعداء، ثمّ قال:

يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما

أقول لك: الناس ثلاثة، فعالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله. يا كميل بن زياد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطّاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه. يا كميل ابن زياد، هلك خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدّهر، أعيانهم مفقودة، أمثالهم فى القلوب موجودة. ها، إنّ ها هنا لعلمًا جمّا (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملةً! بلى أصبت لقنًا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه أو منقاداً لحملة الحقّ، لا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الشّك فى قلبه لأوّل عارض من شبهة ألا، لا ذا ولا ذاك! أو منهومًا باللذّة، سلس القياد للشّهوة، أو مغرمًا بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدّين فى شىء، أقرب شىء شبهًا بهما الأنعام السّائمة! كذلك يموت العلم بموت حامليه. اللّهمّ بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفًا مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته. وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك ـ والله ـ الأقلّون عددًا، والأعظمون قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته، حتّى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله فى أرضه، والدّعاة إلى دينه، آه آه شوقًا إلى رؤيتهم[1]!.

وقال عليه السلام:

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل.

(١) نهج البلاغة.

وقال أيضًا :

خذ الحكمة أنّى كانت ، فإنّ الحكمة تكون فى صدر المنافق فتتلجلج فى صدره حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها فى صدر المؤمن .

وقال عليه السلام :

من نصب نفسه للنّاس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم .

ولما سئل الإمام عن الخير ما هو؟ قال :

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكنّ الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك ، وأن تباهى النّاس بعبادة ربّك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله . ولا خير فى الدّنيا إلاّ لرجلين : رجل أذنب ذنوبًا فهو يتداركها بالتّوبة ، ورجل يسارع فى الخيرات . ولا يقلّ عمل مع التّقوى ، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟ .

وقال أيضا مرغبًا فى الإقبال على العلم :

كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم ، فإنّه يتّسع .

* * *

يأخذك الإمام إلى عالم الحكمة الأوسع ، الذى يتعين على المسلم أن يجوب فى أرجائه وأن يسبح فى فضائه ، فيأخذ منه ما ينفعه وينفع الناس ، ويدعوك إلى أخذ العلم أينما وجدته ، ولا يقيدك بقيد ، اللهم إلا قيد واحد هو طلب العلم والحكمة .

عندما يقول لك الإمام : فتش عن الحكمة أينما تجدها ، حتى ولو كانت عند المنافقين ، فإنه يرفع عنك أى قيد ، مذهبى أو فقهى أو حزبى ، فإذا كنت تفتش عنها حتى عند المنافقين فما بالك بغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ، خاصة الكتابية منها؟ يدعوك إلى الحوار الإنسانى مع كل أصحاب العلم من كافة أصناف البشر من المسلمين أو غير المسلمين ، تستفيد وتفيد وتعلم وتتعلم .

المسلمون، ولسوء حظهم، لم يأخذوا بوصية الإمام على عليه السلام لهم أن يعقلوا الأخبار عقل الدراية والفهم والعمق (خبر تدريه خير من ألف خبر ترويه) مفضلين على ذلك عقل الرواية التى تورد الأخبار والروايات الدينية التى تتناقض فيما بينها وتتناقض مع قواعد العقل والمنطق.

الإمام على والزهد

لقد علّم الإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه الدنيا، الزهد الثورى الواعى الذى هو نقيض الزهد الانهزامى.

الزهد الثورى هو زهد الواجد لا زهد الفاقد.

الزهد الثورى هو زهد القادر على نيل الدنيا، وكان الكثير منها بين يديه قبل الخلافة، ثم أصبحت كلها تحت أقدامه بعد الخلافة، ولكنه أصر على إبعادها وطلقها قائلاً لها قد باينتك ثلاثًا، غُرى غيرى!.

من حكم الإمام

الرّاضى بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم، وعلى كل داخل فى باطل، إثمان: إثم العمل به، وإثم الرّضى به.

احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم.

قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجّى التّوبة بطول الأمل، يقول فى الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الرّاغبين، إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى، ينهى ولا ينتهى، ويأمر بما لا يأتى، يحب الصّالحين ولا يعمل عملهم،

obeikandi.com

ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظلّ نادمًا، وإن صحّ أمن لاهيًا يعجب بنفسه إذا عوفى ويقنط إذا ابتلى إن أصابه بلاء دعا مضطرّا، وإن ناله رخاء أعرض مغترّا، تغلبه نفسه على ما يظنّ، ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقصّر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التّوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ فى الموعظة ولا يتّعظ، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرمًا، والغرم مغنمًا، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على النّاس طاعن، ولنفسه مداهن، اللّهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذّكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوى نفسه، فهو يطاع ويعصى، ويستوفى ولا يوفى، ويخشى الخلق فى غير ربّه، ولا يخشى ربّه فى خلقه.

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

يا بنىّ احفظ عنى أربعًا وأربعًا، لا يضرّك ما عملت معهنّ:

إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بنىّ، إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتّافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه كالسّراب، يقرّب عليك البعيد، ويبعّد عليك القريب.

وقال عليه السلام:

الجود حارس الأعراض، والحلم فدام [لجام] السّفيه، والعفو زكاة الظّفر، والسلوّ عوضك ممّن غدر، والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى

برأيه، والصّبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزّمان، وأشرف الغنى ترك المنى، وكم من عقل أسير تحت هوى أمير! ومن التّوفيق حفظ التّجربة، والمودّة قرابة مستفادة، ولا تأمننّ ملولاً.

وقال أيضًا:

من ملك استأثر ومن استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرّجال شاركها فى عقولها، ومن كتم سرّه كانت الخيرة بيده.

وقال عليه السلام:

الفقر الموت الأكبر.

وقال عليه السلام:

أزرى بنفسه من استشعر الطّمع، ورضى بالذلّ من كشف ضرّه، وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه، والبخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حجّته، والمقلّ غريب فى بلدته، والعجز آفة، والصّبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جُنّة، ونعم القرين الرّضى، والعلم وراثة كريمة، والأدب حلل مجدّدة، والفكر مرآة صافية، وصدر العاقل صندوق سرّه، والبشاشة حبالة المودّة، والاحتمال قبر العيوب.

الطّمع رقّ مؤبّد.

أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

الطّامع فى وثاق الذلّ.

بئس الزّاد إلى المعاد العدوان على العباد.

لا يزهدنّك فى المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشىء منه، وقد تدرك من شكر الشّاكر أكثر ممّا أضاع الكافر، ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

أوّل عوض الحليم من حلمه أنّ النّاس أنصاره على الجاهل.

إن لم تكن حليمًا فتحلّم، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم.

أنت منى بمنزلة هارون من موسى

لو كان حفظ الدين متوقفًا على عموم الصحابة لما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، عليها يوم تبوك ولما قال له والعهدة على البخارى (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى).

إنها الرواية التى نرى فى حدها الحد بين الجد واللعب، فقد ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه تاركًا قومه أى أصحابه فى عهدة هارون عليه السلام ولم يترك الدين عهدة أصحابه وفيهم السامرى صاحب الباع الكبير فى الحيل والألاعيب التى أضل بها أمة بأسرها فضلها الله آنئذ على العالمين.

لم يحفظ أصحاب موسى عليه السلام وصيته لهارون ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وأعرضوا عن نصيحة هارون عليه السلام الذى حذرهم ونبههم من خطورة الحفرة التى قادهم إليها السامرى رغم أنه كان من أصحاب موسى وهكذا فقد تعبد القوم بأهوائهم وخالفوا وصية نبيهم واقرأ معى ما قاله رب العزة عمن خالفوا هارون عليه السلام فى سورة طه.

﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ**

بلحْيَتِى وَلا برأْسِى إِنّى خَشيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنى إِسْرَائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلى (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِىُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِه فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْه عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفاً (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً﴾

[طه: ٨٣ ـ ٩٨].

إنه الصراع بين (التدين الولائى) و(التدين الأهوائى)

التدين الولائى يقوم على مبدأ الولاء لأئمة أهل البيت حيث لا مجال لألاعيب السامرى وكل من كان على شاكلته من عبدة الدرهم والدينار، ممن كان حظهم من الدين لا يزيد على قبضة من أثر الرسول، بل هو سير على صراط مستقيم لا مجال فيه لاتباع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السير على درب هارون موسى وهارون محمد هو سير على هدف وبصيرة ﴿**قُلْ هَذِه سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللَّه وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)**﴾ [يوسف: ١٠٨]. بعيداً عن تلك المسارات العشوائية التى آثرها القوم وجعلوا منها طريقهم وديدنهم حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا.

الأمر كان وما زال اختياراً بين طريقين لا ثالث لهما:

إما السير على خطى هارون موسى وهارون محمد أو السير على خطى السامرى الذى لم يزد حظه من دين موسى عليه السلام على قبضة من أثر الرسول فكان أن قاد بنى إسرائيل وقاد من جاء بعدهم إلى التيه والتخبط والانحراف.

عجل بنى إسرائيل وجمل المسلمين!!

نترك (عجل بنى إسرائيل) وننتقل إلى (جمل المسلمين) الذى أضل منهم جبلاً كثيراً

عندما أخذهم وانحرف بهم بعيدًا عن (هارون محمد) على بن أبى طالب، ونقرأ تلك الكلمات التى رواها أبو مخنف فى تاريخه، والنقل عن ابن أبى الحديد[1] قال: قام رجل إلى علىّ عليه السلام يوم (الجمل) فقال يا أمير المؤمنين أى فتنة أعظم من هذه؟ إن البدرية ليمشى بعضها إلى بعض بالسيف؟ فقال عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها؟! والذى بعث محمدًا بالحق وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بى ولا زللت ولا زل بى، وإنى لعلى بينة من ربى بيّنها الله ورسوله لى، وسأدعى يوم القيامة ولا ذنب لى، ولو كان لى ذنب لكفر عنى ذنوبى ما أنا فيه من قتالهم.

قال أبو مخنف: حدثنا مسلم الأعور عن حبة العرنى قال فلما رأى علىّ عليه السلام أن الموت عند الجمل وأنه ما دام قائمًا فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه وعطفه نحوه وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بنى ضبة، فاقتتلوا قتالا شديدًا وخلص عليه السلام فى جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بحير: دونك الجمل يا بحير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجًا لم يسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صرع الجمل، حتى فرت الرجال كما يطير الجراد فى الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها فحملت إلى دار عبد الله بن خلف، وقال عليه السلام لعنه الله من دابة، ما أشبهه بعجل بنى إسرائيل، ثم قرأ ﴿**وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ**﴾ [طه: ٩٧].

إنه منطق الانحراف والاعوجاج (العجلى أو الجملى) لا فارق بينهما وهو ما لا يحتاج إلى تعسف فى التأويل أو التعلل بالأباطيل التى أدمنت تلك الثعالب الروّاغة على التعلل بها والقول بأن الأمر كان مجرد فتنة لايعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا مجرد فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا على صواب، وتارة أخرى أن الجميع كانوا مجتهدين مأجورين، أحدهما على صواب والآخر على خطأ. ولا أدرى أى دين هذا الذى يحصل فيه الإنسان على ثواب مقابل فعله الخاطئ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨**﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨]. فما بالك بمن خرج وتمرد على إمام

(١) شرح نهج البلاغة.

الحق (هارون محمد) بل وتسبب بتمرده هذا فى سفك دماء آلاف من المسلمين، ما كان ينبغى أن تسفك منها قطرة واحدة بدون مبرر شرعى أخلاقى.

ألم يكن الهدف من هذه الحروب التى شنت على إمام الحق على بن أبى طالب هو صرف الناس عن الاهتداء بهديه، وصد الناس عن الأخذ بوصية رسول الله فى الأخذ بالثقلين الكتاب والعترة لأنهم (لن يخرجوكم من هدى)؟!.

أليس هذا هو الصد عن سبيل الله عز وجل وصراطه المستقيم؟؟ ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)**﴾

[الزخرف: ٣٦ ـ ٤٤].

على هذا النهج يمكننا أن نقرأ سيرة إمامنا على بن أبى طالب تلك السيرة التى تقدم لنا نهج الاستقامة الأخلاقية الربانية فى مواجهة تلك الحجج التى تدرب عليها القوم وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من تكوينهم العقلى والدينى.

والسؤال الذى يتعين على كل مسلم أن يجيب عليه:

أين نجد الطريق الصحيح لفهم الدين إن لم نجده عند أهل البيت عليهم السلام؟ ومن هو الأقدر على تقديم النموذج الذى يتطابق فيه الأفعال مع الأقوال؟؟!!.

لماذا لم يقاتل على بن أبى طالب؟؟

يقولون: لو كان على بن أبى طالب يرى أنه صاحب حق فلماذا لم يقاتل من أجل استعادة حقه؟؟.

كان جواب (هارون موسى) ردًا على سؤال أخيه موسى عليه السلام ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)**﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٣].

﴿يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

فالمانع من استخدام العنف والقوة من أجل التصدى لأضاليل وحيل السامرى لم يكن سوى الحرص على وحدة الأمة.

ما كان ينبغى أن يطرح السؤال على هارون موسى أو هارون محمد بل على من أضلهم السامرى..

كيف ولماذا أضلكم السامرى؟؟

ولذا كان السؤال أولا لقوم موسى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦].

أما الجواب الباهت فكان: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧].

العلة التى أبعدت تلك الأمة عن رؤية الصواب هى إصابتها بعمى الألوان وانعدام القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩].

وإذا توجهنا صوب (هارون محمد) على بن أبى طالب لنسأله السؤال نفسه فسنسمع إجابة لا تختلف كثيراً عن إجابة (هارون موسى) حيث يقول سلام الله عليه فى خطبته المعروفة بالشقشقية (أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنى السيل، ولا يقى إلىَّ الطير، فسدلت دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا، وطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفى العين قذًى، وفى الحلق شجًا).

إنها مصلحة الأمة التى حافظ عليها هارون خوفًا من فتنة عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه وضيعها أتباع السامرى.

وهو يرفض جر الأمة معه إلى ساحة معركة شعارها العصبية القبلية فيرفض عرض أبى سفيان المحتج على ولاية القوم كونهم جاءوا من أصغر وأقل بطون قريش شأنا الداعى إلى رفع السيف فى وجههم فيقول سلام الله عليه (أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه. فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت!! هيهات بعد اللتيا والتى! والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة!).

والمعنى أن إمامنا على بن أبى طالب عليه السلام كان حريصًا كل الحرص على وحدة الأمة وحفظ كيانها حرصه فى الوقت نفسه على استمرار دور الإمامة الإرشادى وهو يفسر رفضه لاستخدام القوة بعلمه الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وضرورة التأنى وإعطاء الأمة مهلة كافية من الزمن لتعيد النظر فى أخطائها، فتختار سبيل الرشد والهداية وتتخلى عن سبيل الغواية الذى خطه سامرى بنى إسرائيل وكل سامرى جاء من بعده!!.

هذه هى حقيقة موقف الإمام على بن أبى طالب من تلك الأحداث التى تلت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا، وهو موقف منزه عن كل شبهة لغرض شخصى أو اتباع للهوى حبّا أو بغضًا لشخص بعينه.

على بن أبى طالب يفقأ عين الفتنة

تلك الثعالب الروّاغة ما تفتأ تكرر أن ما جرى فى تلك الفترة كان مجرد (فتنة وقّى الله أيدينا من شرها ونسأل الله أن يقى ألسنتنا منها).

الفتنة التى حذرنا منها كتاب الله هى الضلال والانحراف عن الصواب، وهذا معنى قوله تعالى ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩]. وهى معنى قوله تعالى ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة: ١٩١].

الفتن أنواع منها فتنة المال وفتنة النساء وفتنة الأولاد وفتنة الدجال ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا**

﴿أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]. وكلها أشياء تعمى الإنسان عن رؤية الحقائق، أو تحول بينه وبين اتخاذ ما يتعين عليه اتخاذه من مواقف صارمة نصرة للمظلوم فى وجه الظالم.

الفتنة قد تكون انحرافًا نحو الكفر والضلال أو تكون انحرافًا يقع داخل مسيرة الدين كما فعل السامرى ببنى إسرائيل ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

الادعاء بأن ما جرى فى صدر تاريخنا الإسلامى كان فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ هو تضليل وافتئات على الحقائق الناصعة الواضحة، والأسوأ من هذا أنه قذف لله ولرسوله بأنهم تركوا الأمة من دون قائد ولا دليل.. من دون منار هدى أو علم يرى!!.

ولا أدرى كيف يكون الامتناع عن ذم الخطأ وإدانة المخطئين نوعًا من التقوى والورع أو من شيم عباد الله الصالحين؟!.

بينما يقول إمامنا علىّ عليه السلام (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق).

إنه ورع أبناء الأفاعى الذين إن سرق فيهم الضعيف الجائع قطعوه وإن سرق فيهم القوى عينوه، فهو من وجهة نظرهم أفضل من يحفظ أموال المسلمين.

أما عباد الله الصالحين فهم موصوفون فى كتاب الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤ ـ ٥٦].

إنهم المؤمنون الموالون لعلى ولأهل البيت من بعده وهم من كانت صفاتهم على هذه الصورة ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤]. أما إمامهم ووليهم فهو على بن أبى طالب ﴿**وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [المائدة: ٥٥]. وهو من أشار إليه رب العزة فى هذه الآية الكريمة ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥]. فكان إعطاؤه الصدقة حال ركوعه علامة على ولايته للمؤمنين وتفقده لأحوالهم ورعاية لشأنهم فى كل وقت وحين فلم تمنعه صلاته ووقوفه أمام الله عز وجل عن صلة ذلك السائل المسكين الذى تلهى عنه الباقون فلم يعطه أحد شيئًا.

وهو ما ذكره الطبرى[1] قال: حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى، قال: حدثنا أيوب بن سويد، قال: حدثنا عتبة بن زبى حكيم فى هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قال: على بن أبى طالب.

حدثنى الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهداً يقول فى قوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ الآية قال: نزلت فى على ابن أبى طالب، تصدق وهو راكع.

أما القرطبى[2] فزاد الأمر إيضاحًا فقال: وقال ابن عباس: نزلت فى على ابن أبى طالب رضي الله عنه، وقاله مجاهد والسدى وذلك أن سائلاً سأل فى مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطه أحد شيئًا، وكان على فى الصلاة فى الركوع وفى يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه.

لقد شكلت أحداث تلك الفترة علامة فارقة فى تاريخ الإسلام فى الصراع بين النهجين السالفين: نهج السامرى العجلى والجملى والنهج العلوى المحمدى نهج الاستقامة على صراط الله المستقيم تصوراً وسلوكًا وأخلاقًا.

نحن نعتقد أن مواقف الإمام على بن أبى طالب وأئمة أهل البيت المضحين من بعده، شكلت تلك العلامات الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطأ.

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن.
(٢) الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبى».

تلك العلامات التى بقيت نبراسًا ومنهجًا للسائرين على طريق الحق الراغبين بحق فى العودة إلى دين الله ومنهجه، لا يبقى معها ثمة حاجة للتخبط أو التلفت ذات اليمين وذات اليسار، بحثًا عن تشخيص دقيق لسبب أزمات المسلمين القديمة والمعاصرة، وسر تنكبهم عن ركب التقدم العالمى، ولماذا يحصلون الآن وقبل الآن على أدنى تقييم فى سلم الحضارة الإنسانية.

إنه طريق الفتنة الذى اختاره القوم بمحض إرادتهم، فكان أن استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون على أولياء الله الصالحين وعترة المصطفى الأمين، وها هى العلل والأمراض الاجتماعية تفتك بهم بتحللهم من عهودهم ومواثيقهم واستمرائهم الكذب على الله ورسوله سعيًا لدوام الحال ورغم أن هذا يعد ضربًا من المحال!!!.

اقرأ معى ما قاله مولى المتقين وهو يحذر الأمة من الوقوع فى شباك الضالين المضلين:

إن الشيطان يسنى لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة فاصدفوا عن نزعاته ونفاثته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم.

ثم يقول مرة أخرى:

وقام إليه عليه السلام رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿**الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢**﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التى أخبرك الله بها؟ فقال «**يا على، إن أمتى سيفتنون من بعدى**». فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشهد من المسلمين، وحيزت عنى الشهادة، فشق ذلك علىَّ، فقلت لى: «**أبشر، فإن الشهادة من ورائك**»؟. فقال لى: «**إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن**»؟. فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن

الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر. وقال: «**يا على، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فسيتحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع**». قلت: يا رسول الله، فبأى المنازل أنزله عند ذلك؟ أبمنزلة ردة، أم بمنزلة فتنة؟ فقال: «**بمنزلة فتنة**»[1].

ثم يوضح الإمام علىّ عليه السلام أهمية مواقفه فى مواجهة تلك الفتن التى أبعدت المسلمين عن الصراط المستقيم.

أما بعد، أيها الناس فإنى فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها[2].

الذى نخلص إليه أن مواقف الإمام علىّ عليه السلام الأخلاقية الصارمة من تلك الأحداث والفتن التى عاشتها الأمة الإسلامية بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا ونصبها، قدمت للأمة المعيار الحقيقى الذى يمكن من خلاله التعرف على صدق الإيمان والعقيدة وصوابية الموقف، وكان الأمر مصداقًا لما قاله رسول الله ورواه عنه أبو سعيد الخدرى، قال: كنا جلوسًا ننظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى على رضى الله عنه فقال: **إن منكم من يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله** فقال أبو بكر: أنا؟ قال: **لا**، قال عمر: أنا؟ قال **لا ولكن خاصف النعل**. رواه النسائى فى الخصائص.

تلك هى القضية، وهذا هو سر تمسكنا بولاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والأئمة من مولده.

فليسمه الناس تشيعًا أو رفضًا أو كفرًا أو ما شاءوا!!!.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)﴾ [سبأ: ٢٤ ـ ٢٦].

الإمام على وطبيعة المجتمع المسلم

لا ينبغى للمشتغل بالشأن العقائدى أن يغفل عن الطبيعة البشرية التى تحكم وتتحكم فى سلوك المؤمنين بأى ديانة أو مذهب.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٦.
(٢) المرجع نفسه خطبة ٩١.

إنها قاعدة لا تقبل أى نوع من الاستثناء!!.

ومهما كانت قيمة أو عظمة المعتقد الذى يتبناه الإنسان، فالطبيعة الإنسانية والظروف الاجتماعية، بل والأحوال المناخية، تؤثر بدورها على سلوك المؤمنين بأى دين أو مذهب.

ألم يتعلل البعض بالحر فى قعودهم عن نصرة رسول الله والجهاد معه يوم العسرة، حيث قال من قال منهم ﴿**لا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ**﴾ [التوبة: ٨١] ورد عليهم سبحانه وتعالى: قال نار جهنم أشد حرّا ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)**﴾ [التوبة: ٨١].

ألم يقل الإمام على بن أبى طالب مخاطبًا من كان معه (فيا عجبًا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم!! فقبحًا لكم وترحًا حين صرتم غرضًا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون!! ويعصى الله وترضون!!.

فإذا أمرتكم بالسير فى الحر، قلتم هذه حمّارة القيظ.. أمهلنا يسبّخ عنا الحر!! وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء، قلتم هذه صبارة القر أملهنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارًا من الحر والقر!!

فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر!!!.

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم)[1].

لم يكن كل عسكر الإمام على هذه الصورة الشائهة، بل كان منهم العظماء الأفذاذ المضحون، مثل قيس بن سعد بن عبادة وأبى أيوب الأنصارى وعمار بن ياسر وأبى الهيثن بن التيهان وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت ومالك الأشتر النخعى، الذين ذكرهم الإمام وتوجع على استشهادهم حيث يقول سلام الله عليه:

ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم ـ وهم بصفين ـ ألا يكونوا اليوم أحياءً؟ يسيغون الغصص، ويشربون الرنق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٧.

الأمن بعد خوفهم. أين إخوانى الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام أوه على إخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الغرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوه، ووثقوا بالقائد فاتبعوا[1].

ويصف مالك الأشتر عندما أرسله إلى مصر واليًا عليها: أما بعد، فقد بعثت إليكم عبدًا من عباد الله عز وجل، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، ولا نابى الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمرى، وقد آثرتكم به على نفسى لنصيحته لكم، وشدة شكيمته على عدوكم[2].

إنها طبيعة البشر ونحن لا نزعم أن التشيع لأهل البيت، ينقل صاحبه من الحالة البشرية إلى حالة ملائكية، فالتشيع معتقد، هو قلب الإسلام ولكنه ليس حالة زائدة على المألوف الدينى.

التشيع ليس بالضرورة حالة صوفية تصعد بالمريدين درجات سلم القرب الإلهى، بل هو موقف عقائدى قلبى جهادى يمكن أن يتبناه الصادق وغير الصادق، كما أن أحدًا لا يزعم أن كل من كانوا مع الإمام على بن أبى طالب هم ممن ينطبق عليهم وصف التشيع لأهل البيت، فهم كانوا فى أغلبهم من جمهور المسلمين بحسناتهم وسيئاتهم.

مقتل الإمام

أى ضيق وضنك هذا الذى عاناه الإمام علىّ وهو يحاول دفع الأمة نحو الاستقامة والابتعاد عن طرق الأهواء المتعرجة التى لم يكن أحد من أهل تلك البدايات يعرف أين تنتهى بأصحابها وسالكيها، ولكننا نحن وقد أصبحنا فى النهايات نعرف أين انتهت بنا تلك الانحرافات والاعوجاجات.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٢.
(٢) المرجع نفسه رسالة رقم ٣٨.

كان الإمام على بن أبى طالب يقاتل ويقاتل على تأويل القرآن، وهو ما أخبر به رواة الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله وهو على بن أبى طالب»**[١].

والمعنى أن الإمام كان يحارب من أجل أن يفسر ويطبق الدين تطبيقًا صحيحًا وأن يجرى العمل بجوهره، حتى لا يصبح الدين شكلا بلا مضمون. . طقوسًا تقام هنا وهناك فى حين نحيت قيم الإسلام ومفاهيمه الحقيقية من حرية وعزة عن كل ما سوى الله، ومن عمل فى سبيل العدالة والمساواة، بإخلاص وشموخ، كخلفاء لله على الأرض، كرمهم الله وفضلهم وسخر لهم الكون.

قال أبو الفرج الأصفهانى[٢]:

كان ابن ملجم من قبيلة مراد، فأقبل حتى قدم الكوفة، فزار رجلاً من أصحابه ذات يوم، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، وكان الإمام علىّ قتل أباها وأخاها بالنهروان[٣]، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلما رآها ابن ملجم شغف بها فخطبها، فقالت له ما الذى تسمى لى من الصداق؟ فقال لها احتكمى ما بدا لك، فقالت: ثلاثة آلاف درهم ووصيفًا وخادمًا، وقتل على بن أبى طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، فأما قتل على فأنى لى بذلك؟ فقالت: تلتمس غرته، فإن أنت قتلته شفيت نفسى وهنأ لك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، قال لها: أما والله أقدمنى هذا المصر وقد كنت هاربًا منه لا آمن مع أهله إلا ما سألتنى من قتل علىّ، فلك ما سألت. قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقويك. ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله، فتحمل ذلك لها وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: يا شبيب، هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال تساعدنى على قتل على بن أبى طالب، وكان شبيب على رأى الخوارج، فقال له يا بن ملجم هبلتك الهبول، لقد جئت شيئًا إدّا، وكيف تقدر على ذلك؟ قال له ابن ملجم: نكمن له فى المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به

(١) رواه النسائى وابن المغازلى.

(٢) مقاتل الطالبيين.

(٣) عند قتاله الخوارج، الذين خرجوا عليه لما قبل التحكيم بينه وبين معاوية على أساس القرآن.

فقتلناه، فإذا نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهى معتكفة فى المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة، فقالا لها قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل. قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقيانى فى هذا الموضع. فانصرفا من عندها، فلبثا أياما ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ـ وفى رواية أنها كانت سبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ـ فتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مما يلى السدة التى كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة.

وذكر أبو الفرج أن ابن ملجم أتى إلى الأشعث بن قيس فى الليلة التى أراد فيها بعلىّ ما أراد، والأشعث فى بعض نواحى المسجد، فسمع حُجر بن عدى الأشعث يقول لابن ملجم النجاء النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح، فقال له حُجر: قتلته يا أعور، وخرج مبادرًا إلى علىّ، وأسرع ابن ملجم فضرب عليّا وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

ويروى أبو الفرج عن عبد الله بن محمد الأزدى قال:

إنى لأصلى تلك الليلة فى المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون فى ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبًا من السدة قيامًا وقعودًا وركوعًا وسجودًا ما يسأمون، إذ خرج علىّ لصلاة الفجر، فأقبل ينادى الصلاة الصلاة، فما أدرى أنادى أم رأيت بريق السيف؟ وسمعت قائلاً يقول الحكم لله يا علىّ لا لك ولا لأصحابك، ثم رأيت بريق سيف آخر ثانيًا، فضربه شبيب بن بجرة ضربة فأخطأته وضربه ابن ملجم فأثبت الضربة فى وسط رأسه وسمعت عليّا يقول لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل ناحية حتى أخذوه. ثم أدخل ابن ملجم على علىّ، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعت عليّا يقول: النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلنى، وإن سلمت رأيت فيه رأيى، فقال ابن ملجم والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف، فإن خاننى فأبعده الله. قال: ونادته أم كلثوم: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال: إنما قتلت أباك، قالت يا عدو الله إنى لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها: فأراك إنما تبكين عليّا، إذًا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

ثم جاء الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح بابن ملجم لعنه الله ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون له: يا عدو الله ماذا فعلت؟ أهلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله وقتلت خير الناس، وإنه لصامت ما ينطق.

الذين مدحوا قتلة الإمام!!

يروى ابن الأثير[1]: لما قتل ابن ملجم المرادى الإمام على بن أبى طالب مدحه (مدح ابن ملجم!!) ابن أبى مياس المرادى بقوله:

فنحن ضربنا يا لك الخير حيدر أبا حسن مأمومة فتقطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيف إذ علا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضًا:

فلم أر مهرًا ساقه ذو سماحة كمهر قطام بين فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علىّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

لك أن تعجب أخى المسلم من هؤلاء والعجب قليل!!

وأحد الذين روى لهم البخارى فى صحيحه، عِمران بن حطّان السدوسى البصرى الذى مدح ابن ملجم بشعره.

وصية الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب: أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلوات الله وبركاته عليه ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

(١) الكامل فى التاريخ جـ٢.

obeikandl.com

أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهل بيتى ومن بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربنا، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، فإنى سمعت رسول الله يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وأن المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب..

الله.. الله فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم بجفوتكم

والله الله فى جيرانكم فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم..

والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم..

والله الله فى الصلاة فإنها عماد دينكم..

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وإنه إن خلا منكم لم تنظروا...

والله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جُنة من النار...

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم...

والله الله فى زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم....

والله الله فى أمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم....

والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم....

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم...

والله الله فيما ملكت أيمانكم فإنها كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله.

***

obeikandl.com